المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عُكَل

أ.م.د. عادل صالح حسن نعمان القباطي

أستاذ النقد الأدبي المشارك - كلية الآداب

جامعة الحديدة

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

Al-Yemenia University Journal
مجلة الجامعة اليمنية

المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عُكَل

أ.م.د. عادل صالح حسن نعمان القباطي
أستاذ النقد الأدبي المشارك – كلية الآداب – جامعة الحديدة

ملخص الدراسة

يهدف هذا البحث إلى تناول ثلاثة من شعراء قبيلة عكل، وهم: جحدر العكلي والسمهري العكلي والخطيم المحرزي. وقد قام البحث برصد المفارقة في شعرهم، والكشف عن الأبعاد الجمالية للمفارقة في شعرهم؛ من خلال قراءة النصوص قراءةً تكشف عن صراعهم مع ذواتهم ونفسياتهم المنطلقة، وحوؤل الواقع دون ذلك، والمفارقات التي يتعرضون لها: من الظلم الذي تعرض له هؤلاء الشعراء من تهميش وطرد، وما عانوه من قسوة في السجون وألوان العذاب الذي ذاقوه، ورغبتهم في الخروج من السجون.. فيستدعون الزمن الماضي في انطلاقهم مع نوقهم في الصحاري الموحشة ليلًا حيث الظلام المخيف، ونهارًا حيث حرارة الصحاري المهلكة، ويتحدثون عن طيف محبوباتهم وأحبابهم الذي يطرقهم ليلًا، ويجدون فيه التسلية والمخفف لهم من همومهم في هذه السجون، ويكشفون عن خذلان قبائلهم لهم.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين ونتائج وملخص للبحث، إذ تناول المبحث الأول: المفارقة وإدراك الذات وفيه تناول: مفارقة الذات مع نفسها، ومفارقة الطيف، ومفارقة الذات مع القبيلة. وتناول المبحث الثاني أنوع المفارقات في شعرهم: المفارقة اللفظية والمفارقة الدرامية ومفارقة الحدث.

كلمات مفتاحية: المفارقة، الشعر، قبيلة عكل، النقد الحديث، الدلالة، الشعراء اللصوص.

Abstract:

This research aims to address three poets of the Uql tribe, namely: Jahdar Uqli, Al-Samhari Uqli and Al-Khatim Al-Mahrazi. The research monitored the paradox in their poetry, identified the patterns of paradox in their poetry and revealed the aesthetic dimensions of paradox in their poetry by reading the texts in a way that reveals their struggle with themselves and their free-spirited psyches, and the solutions of reality to that and the paradoxes they are exposed to from the injustice that these poets were subjected to from marginalization and expulsion, and what they suffered from cruelty in prisons and the types of torture they tasted and their desire to leave prisons, so they recall the past in their departure with their camels in the desolate.

المقدمة:

يتناول البحث: المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عكل.

وعكل هي: إحدى قبائل العرب، وتنسب إلى امرأة تسمى عُكَل "حَضَنَتْ بني عوف بن وائل بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر فغلبت عليهم وسُمّوا باسمها، وهم: الحارث وجشم وسعد وعلي بنو عوف بن وائل، وأمهم بنت ذي اللحية من حمير"(1)، فقد برز عدد من الشعراء الصعاليك وقطاع الطرق في قبيلة عكل.

وقد تناول البحث ثلاثة من شعرائهم في العصر الأموي، وهم: جَحْدَرٌ العُكَلِيُّ، والسَّمْهَرِيُّ العُكَلِيُّ، والخَطِيمُ المِحرزِيُّ. فقد عاش هؤلاء الشعراء حياة الحرمان، وأحاطت بهم الهموم والأحزان من كل جانب، فجاء شعرهم معبرًا عن الشوق والحنين وتسلية النفس بالأطياف التي تطرقهم ليلًا، وتذكر الزمن الماضي زمن الاستقرار والألفة والقوة والحرية، وتعرضوا للملاحقة والسجون وذاقوا فيها ألوان العذاب، حتى يئسوا من الخروج، وعبروا عن المفارقات التي يواجهونها من سجن وعذابات وتشاؤم ويأس ورغبتهم في الحياة، ورؤية الأحباب والديار، والمفارقة بين انتظار الموت المحيط بهم والرضا بالقدر الذي كتب عليهم، وبين رغبتهم في التمرد على هذه الهموم ومحاولة الانتصار عليها، وقد حاولوا مواجهة هذه الهموم برباط القبيلة واستدرار عطفها، غير أن القبيلة خذلتهم، ومن هنا جاءت المفارقة بين موقفهم منها وموقفها منهم.

والمفارقة هي: "شكل من أشكال القول يساق فيها كمعنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر"(2).

وتتحدد المفارقة بوجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ إذ يقدم صاحب المفارقة أو صانعها نصًا يحمل معنى أوليًا غير مقصود، يخفي في ثناياه معنى ثانويًا غالبًا ما يناقض المعنى الأولي، ويقوم المتلقي بالكشف برفض هذا المعنى الأولي والبحث عن معنى مخالف له، ولا بد من وجود ضحية في المفارقة، وقد تكون هذه الضحية هي: "أنا الكاتب أو أنت أو الآخر، وأيا ما كانت هذه الشخصية، فهي متهمة وبريئة، ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب. وهو وما يجعلها هشة وغير محصنة ومعرضة للهجوم ممن هو أعلى منها"(3)، وهي: "فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في ما واقعه الاختلاف"(4).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

1- استكناه دلالات شعرهم.
2- الكشف عن أبرز أنماط المفارقة في شعرهم؛ لما للمفارقة من قدرة على تكثيف للمعنى، وابتعاد عن المباشرة اللغوية، وقدرتها على الجمع بين المتناقضات واستنطاق النص.
3- الكشف عن المعاني الكامنة خلف النصوص.

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط2، 1995، 143/4.
(2) القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج2، عدد2، فبراير – مارس، 1982م، ص144.
(3) قضايا المصطلح الأدبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج7، ع3،4، إبريل- سبتمبر 1987ص 133.
(4) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة ابن سيناء، القاهرة – مصر، ط4 1423هـ - 2002م، ص130.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

خطة البحث:

تضـــمن البحث: مقدمة ومبحثين ونتائج وملخص للبحث: تناول المبحث الأول المفارقة وإدراك الذات، وفيه تناول: مفارقة الذات مع نفســـها، ومفارقة الطيف، ومفارقة الذات مع القبيلة، وتناول المبحث الثاني أنوع المفارقة في شعرهم: المفارقة اللفظية والمفارقة الدرامية ومفارقة الحدث.

أولًا: المفارقة وإدراك الذات:

مفارقة الذات مع نفسها:

تتخذ الذات الشـاعرة موقفًا عدائيًّا من السـجن، ومن جميع عناصـر الواقع المحاصـر لها. وتعكس رؤيتها تجاه هذا العالم المليء بالمفارقات والمتناقضـات المختلفة؛ فهي تدرك أنها محاصـرة من الواقع بعناصـره المختلفة: من الحاكم ومن الآخر ومن المكان والزمان، ومن ذاتها أيضًا.. وهذا ما يجعل التوتر على أشده بين الذات، وبين عناصـر هذا الواقع، فتحاول هذه الذات توظيف المفارقات المختلفة، سـاعية للبحث عن ذاتها في هذا الكوم من الحصـار؛ لتجده في الأخير بالاستسلام للقدر المحتوم: فالحياة غرور "وهي صـفة عرف بها شـعر اللصـوص، فالسـجن إطار محدود لا يمكن الإفلات منه، والموت أصـبح رهنًا بالإشـارة التي تنطلق من أفواه أصحاب الشأن، وهي إشارة غير محدودة أيضًا، وفي ظل هذا الامتداد غير المحدود والحيرة القاتلة التي كانت تمتلك حياتهم كانت تتنازع نفوسهم فترات يائسة، وحالات مميتة أشد عليهم من الموت، وأقسى عليهم من لحظات التهيؤ له"(1).

فهذا الخطيم المحرزي يذكر المفارقات التي يعيشـــها في حياته: بين واقعه في الســـجن، وبين بعده عن محبوبته وأرضه وما يراه في نفسه وبين سخرية الآخر منه:

وَقَـائِـلَـةٍ يَـومًـا وَقَـدْ جِـئْـتُ زَائِـرًا	رَأَيـتُ الـخَـطِـيـمَ بَـعْـدَنَـا قَـدْ تَـخَـدَّدَا
أَمَـا إِنَّ شَـــيْـبِـي لَا يَـقُـومُ بِـهِ فَـتًـى	إِذَا حَضَـــــرَ الشُّـــــحُّ اللَّئِيمَ الضَّـفَنْدَدَا
فَـلَا تَسْـــخَـرِي مِـنِّـي أَمَـامَـةُ أَنْ بَـدا	شُـــحُـوبِـي وَلَا أَنَّ الـقَـمِـيـصَ تَـقَـدَّدَا
فَـإِنِّـي بِـأَرْضٍ لَا يَـرى الـمَـرْءُ قُـرْبَـهَـا	صَـــدِيقًـا وَلَا تَحْلَى بِـهِ العَينُ مَرْقَـدا
إِذَا نَـامَ أَصْـــحَـابِـي بِـهَـا الـلَّـيـلُ كُـلَّـهُ	أَبَـتْ لَا تَـذُوقُ الـنَّـومَ حَـتَّـى تَـرَى غَـدا(2)

يبدأ الخطيم بالحديث عن واقعه من كبر وشـيب وشـحوب وبعد عن موطنه ومحبوبته؛ إذ تتعجب المرأة من شـيبه وشـحوبه وهزاله وتغير لونه، بعد ما كان عكس ذلك. غير أن كل ذلك لا يضـع من همته، ولا ينال من مكانته، فالعبرة ليست بالكبر وشيب الرأس بل بالكرم؛ فهو وإن كان قد شاب رأسه، فهو كريم لا يقوم بكرمه الشاب الضخم.. ونراه هنا راسمًا صورة ساخرة، طالبًا منها عدم السخرية؛ فالمفارقات التي يعيشها هي من تسببت بكل ذلك، وليس كبر سنه، ولا شيب رأسه، ولا سواد لونه، ولا شحوب وجهه. إنه في أرض ليس له فيها صـــديق، ولا يذوق طعم النوم فيها؛ فهو في الســـجن ومحبوبته بعيدة عنه، ذاكرًا صـــفاتها والأماكن التي يشـــتاق إليها (ذي قار، ورمل مُخَفِّق) وكيف كانوا مجتمعين فيها في عيش رفيع وحبين لم يتفرقا، وهي أحب إليه من كل البلاد، ولو عاد إليها لأنسته عَمَّان والشَّام:

(1) شعراء أمويون دراسة وتحقيق/نوري حمود القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل – العراق، 1396هـ 1976م، 159/1.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، صنعه/محمد نبيل طريفي، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1، 2004م - 1425هـ، 235/1.

لَـيَـالِـي أَهـلَانَـا جَـمِـيـعًـا وَعَـيشُـنَـا رفـيـعٌ وشِـعْـبَـا الـحَـيِّ لَـمْ يَـتَـبَـدَّدا
لَـهَـا بَـيـن ذِي قَـارٍ وَرَمْـلِ مُـخَـفِّـقٍ مِـن الـقُـفِّ أَو مِـن رَمْـلِـه حِـيـنَ أَرْبَـدا
أَوَاعِـسُ فِـي بَـرْثٍ مِـن الأَرْضِ طَـيِّـبٍ وَأَوْدِيَـةٌ يُـنْـبِـتْـنَ سِـدْرًا وَغَـرْقَـدا
أَحَـبُّ إِلَـيـنَـا مِـن قُـرَى الشَّـامِ مَـنْـزِلًا وَأَجْـبَـالِـهَـا لَـو كَـانَ أَنْ أَتَـوَدَّدا
أَعُـوذُ بِـرَبِّـي أَنْ أَرَى الشَّـامَ بَـعْـدَهَـا وعَـمَّـان مَـا غَـنَّـى الـحَـمَـامَ وَغَـرَّدا
فَـذَاكَ الَّـذِي اسْـتَـنْـكَـرتُ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ وَأَصْـبحتُ منه شـاحبَ اللّونِ أسـودًا(1)

ويستدعي الخطيم المحرزي الزمن الماضي أيام حريته وتجواله في البلدان، أيام قوته وفتوته، ويُسَمَّى هذا الاستدعاء بالاسترجاع، وهو من المفارقات الزمنية، وفيه يكون الجهل بالنسبة للذات في الزمن الماضي، والمعرفة في الزمن الحاضر: فقد عجزت الذات عن استرجاع الزمن الماضي؛ فتلجأ - في خضم ذلك - إلى استرجاعه عن طريق الخيال، وتذكر هذا الزمن، ويمثل الشاعر هنا دور الضحية، إذ يحس بوطأة الزمن عليه، وهو يتأمل تحولاته ومفارقاته المختلفة، إذ يعيش فيه لاهيًا متغافلًا عن حقيقته ومفارقاته. وحين يكتشف الحقيقة يقع ضحية من ضحايا مفارقات هذا الزمن، فالزمن يكثف حضوره في النص، ومع مرور هذا الزمن، يتحول كل ما هو إيجابي إلى كل ما هو سلبي، يقول:

وَإِنِّي لَمَـاضِـي الـهَمِّ لَو تَعْلَمِيَنـهُ وَرَكَّـابُ أَهْـوَالٍ يُـخَـافُ بِـهَـا الـرَّدَى
وَمِسْـعَرُ حَرْبٍ كُنْـتُ مِمَنْ أَشُـبُّـهَـا إِذَا مَـا الـجَـبَـانُ الـنِّـكْـسُ هَـابَ وَعَـرَّدا
وَأَزْدَادُ فِـي رَغْـمِ الـعَـدو لَـجَـاجَـةً وَأَمْـكِـنُ مِـنْ رَأْسِ الـعَـدُوِّ الـمُـهَـنَّـدا
وَيُـعْـجِـبُـنِـي نَـصُّ الـقِـلَاصِ عَـلَـى الـوَجَـا وَإِنْ سِـرْنَ شَـهْـرًا بَعْدَ شَـهْرٍ مُطَرَّدَا
عَـوَاسِـفُ خَـرْقٍ مَـا لَـهُـنَّ تَـئِـيَّـةٌ إِذَا مِـلْـنَ فِـي سَـهْـبٍ تَـعَـرَّفْـنَ قَـرْدَدا
وَرَحْـلِـي عَـلَـى هَـوجَـاءَ حَـرْفٍ شِـمَـلَّـةٍ ذَمُـولٍ إِذَا الـتَّـاثَ الـمَـطِـيُّ وَهَـوَّدا
مُـوَثَّـقَـةِ الأَنْسَـاءِ مَضْـبُـورَةِ الـقَـرَى تَسُـومُ بِـهَـادٍ فِـي الـقِـلَادَةِ أَقْـوَدا
على مَرِسَـاتِ الجَنْـدَلِ الصُّـمِّ رَفَّعَـتْ بِـهَـنَّ كَـمَـا رَفَّـعْـتَ ظِـلًّا مُـمَـدَّدا
كَـأن أَمَـامَ الـرَّحْـلِ مِـنْـهَـا وَخَـلْـفَـه صَـفِـيحًـا لـدى صَـفْـقَيْ قَرَاهَـا مُسَـنَّـدَا
سَـفِـيـنَـةُ بَـرٍّ تَـحْـتَ أَوْدَعَ لَا تَـنِـي بِـراكِـبِـهـا تَـجـتـاب سَـهـبًـا عـمـردا
تَـذاءَبُ أَحـيـانًـا مِـراحًـا وَجِـدّة زَهَـتْـهَـا فَـمَـا بَـالَـيـتُ أَلَّا تَـزَيَّـدَا
بِـذي شُـقَّـةٍ جَـوَّابِ أَرْضٍ تَـقَـاذَفَـتْ بِـه سَـار حَتَّـى غَـارَ ثُـمَّـتَ أَنْجَـدَا(2)

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 237/1.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 237/1 -239.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

يتذكر الخطيم المحرزي وهو في السجن الزمن الماضي أيام قوته، وكيف كان يمضي الهم ويزيله إذا حضره؛ إذ يركب الشدائد المخيفة المهلكة مستخدمًا صيغة المبالغة (رَكّاب) للدلالة على قوته وشجاعته، ويسعر الحرب ويشبها إذا خاف الجبان الضعيف من ذلك. ويتمكن من قتل العدو القوي، ويمضي همه بالسير، على ظهر إبل قوية سريعة، على الرغم من ألم في باطن أخفاف مناسمها. وهو يعبر عما يعانيه في السجن، ومع ذلك فما يزال قويًّا يستدعي زمن القوة ولو خيالًا، فيستدعي ناقته، وقد كانت الناقة عند الشاعر القديم "وسيلته المفضلة في الهروب كلما حاصرته الهموم والأحزان، أو أحاطت به الأخطار"(1)؛ إذ تسير (عواسف)، وهي: التي تركب رأسها ولا يثنيها شيء، فهي تقطع (الخرق، والسهب) وهي: الصحراء الواسعة التي تنخرق فيها الرياح، فهو "يثوب عن التفكير في أمر الود والأحباب، ويصبح فراغ الصحراء كفراغ الزمان أهلًا للالتماس والتحية، والصحراء كانت ملاذ الشاعر من مرض الحنين إلى البشر. فإذا أراد الشاعر أن يعالج الإحساس بالحياة فليس أمامه إلا الصحراء"(2)، والقَرْدَد وهي المكان الغليظ من الأرض، أي أنها لا تفكر أين تضع أخفافها ومنسمها سواء في المكان السهل، أو الغليظ من فرط قوتها ونشاطها، إذ تسير كالمجنونة بلا قصد ولا هداية ولا توخ ولا حذر. وما ناقته إلا نفسه القوية، يواجه بها مفارقات الماضي القوي والحاضر المحاصر له، فناقته هي موضوعه الشعري يستدعيها "إذ لا يتحقق للذات فاعلية تنفيذية إلا بحضور الموضوع الشعري بوصفه محمولها الذي يتسع لرؤياها"(3).

ويستدعي الخطيم المحرزي زمنه الماضي، فيقول:

نَزَلْنَا بَمَخْشِيِّ الرَّدَى آجِنِ الصَّرَى ... تَنَاذَرَهُ الرُّكْبَانُ جَذْبَ المُعَلَّلِ(4)

غِشَاشًا مَلَا حتى رَوَينَ وَعَلَّقُوا ... أدوى سَقَوا فِيهَا وَلَمَّا تَبَلَّلِ

وأشْعَثَ رَاضٍ في الحَيَاةِ بِصُحبتي ... وإنْ مُتُّ آسَى فِعْلَ خِرْقٍ شَمَرْدَلِ

تَبَدَّلَ بِالنُّعْمَى بَئِيسًا وشَفَّهُ ... مَخَاوِفُ تُزْرِي بِالغَرِيرِ المُغَفَّلِ

طَرِيدِ مَطَا حَتَّى كَأَنَّ ثِيَابَهُ ... عَلى جلد مسجون وإن لَمْ يُكَبَّلِ

دَنَا لِي فَأَعْدَانِي وقَالَ وَقَدْ بَدَتْ ... شَوَاهِدُ مَشْهُورٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ

وقال وقد مالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الكَرَى ... نُعاسًا وَمَن يَعْلَقْ سُرَى اللّيلِ يَكْسَلِ

أَنِخْ نُعْطِ أَنْضَاءَ النُّعَاسِ دَوَاءَهَا ... قَلِيلًا وَرَفِّهْ عن قلائصَ كُلَّلِ

فَقُلْتُ لَهُ كَيفَ الإِنَاخَةُ بَعْدَمَا ... حَدَا اللّيلَ عُرْيَانُ الطّرِيقَةِ مُنْجَلِي

ألا تَرهَبُ الأعداءَ أن يَمْحلُوا بنا ... أو البَعْثَ من ذاك الأمير المُوَكَّلِ

وأشْعَثَ قَدْ أَلقَى الوِسَادَةَ فَانطَوَى ... إلى دَفِّ مَنجاة الذِّرَاعَينِ عَيهَلِ

وقَدْ ضَمَرَت حَتَّى كَانَ وَضِينَهَا ... وشَاحٌ بِكَفِّي ناهِدٍ لَمْ تَسَربَلِ

(1) قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1986م، ص269.
(2) صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص96.
(3) مناورات الشعرية، محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1، 1406هـ 1996م، ص33.
(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 249/1 – 251.

وهُـنَّ يُـقَـطِّـعَـنَ الـلّـغَـامَ كَـأَنَّـهُ ... سـبـائـخُ مِـن قُـطْـنٍ بِـاذْرُعِ غُـزَّل

فَـأَلْقَى بِثِنْيَيْـهِ عَلَى شَـرخِ رَحلِهـا ... أَخُـو قـفـراتٍ ثُـمَّ قَـالَ لـهـا حَـلِ

إذا وَثَـبَـتْ مِـن مَـبْـرَكٍ غَـادَرَتْ بِـهِ ... دَمًـا مـن أَظَـلِّ رَاعِـفٍ لـمْ يُـنـعَّـل

أَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي يـا عَـمْـرَكِ الله أنـنـي ... أَضَـمِّنُ سَـيْفِي حَقَّ ضَـيْفِي وَمِرْجـلِ

إذا الشَّـولُ رَاحَتْ وِهِي حُدْبٌ ظُـهُورُها ... يَسُـفْـنَ مُـقَـذّى مُـقـرَمٍ لَـمْ يُـجَـزَّلِ

فـأجـلـتْ وقَـدْ أَمْـكَـنْـتُـهُ مِـن عَـقِـيَـرةٍ ... تَـخَـيَّـرتُـهَـا سُـمْـنَـى أَيـانِـقَ بُـزَّل

أَفَـزَّ نَسًـا مِـن بَـعـدِ سـاقٍ أَثَـرَّهـا ... لُـعَـابُ الـفِـرنْـدِ الـخَـالِـصِ الـمُـتَـنَـخِّـل

تبرز المفارقة هنا من خلال المقارنة بين زمنين متناقضين: أحدهما إيجابي يرتبط بما مضى من الزمن من كرم وقوة وشجاعة ومغامرة في القفار ليلًا، والآخر سلبي يرتبط بما صار إليه من كونه مطرودًا ومسجونًا قد أثرت القيود على جسمه، وأسالت الدماء، ومن ثم يقوم بسرد أحداث الماضي متوحدًا مع ناقته.

فهو يتذكر نزوله مع صاحب له مكانًا مخيفًا مهلكًا مجدبًا، وإن وجد فيه ماء فهو آجن قد تغير لونه وطعمه، وقد تجنب الركبان المرور منه وَخَوَّفَ بعضهم بعضًا منه، ومع ذلك ينزل فيه هو ليلًا من دون خوف، فصاحبه راضٍ بصحبته وقد سوى بينه وبين الشاعر وتوحد معه، ويصفه بأنه مطرود وثيابه رثة ممزقة قد امتلأت بالأوساخ والدماء جراء القيود التي كُبِّلَ بها، يسير سيرًا متواصلًا لا ينيخ بعيره خوفًا من رسل الأمير الذين يتتبعونه ليقبضوا عليه، " والليل ليس بأمثل من النهار، بل إنه يضيف على مخاوف النهار وحرارته رعب الظلام وهول المخاوف الأسطورية والخرافية الجاثمة من عزيف الجن ونعيب الهام وعواء الذئاب.... لقد تعاون الجميع على عزف سيمفونية للرعب والقبح، زاد من حدتها صوت وجيب قلوب هؤلاء الخائفين على أنفسهم مما يحمله إليهم المجهول من هلاك"(1)، وإذا تأملنا في صفات صديقه نجد أنها صفات الشاعر نفسه، فالشاعر ليس له صديق غير نفسه يجرد - من ذاته - ذاتًا أخرى، يتوحد معها؛ ليواجه واقعه المحاصر له.

ومن ثم يُعرِّج لوصف رحلته ومغامرته - وهو أشعث الرأس - على ظهر ناقته السريعة في القفار الواسعة الخالية إلا منه ومن ناقته. ومتوحدًا مع ناقته، إذ يصف قوتها وسرعتها ونشاطها: فهي (منجاة الذراعين، عيهل) أي سريعة، وقد (ضمرت) من كثرت الأسفار حتى صارت ضامرة البطن قوية سريعة تتحمل المشاق، ونشيطة يخرج (اللُّغام) وهو الزبد من فمها لفرط نشاطها في الصحارى والقفار كأنه قطن يُغزل، ويسيل الدم من أقدامها ومناسم خفها من سيرها في القفار كأنه دم راعف. وما هذه الصفات إلا صفاته هو، فنحن هنا" أمام درجة من درجات تفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها؛ فالشاعر لا يسقط مشاعره على ناقته، ويخلع عليها حزنه العميق من قدره فحسب، بل نحن أمام ذات تحاول أن تعي نفسها من خلال تأملها لموضوعها"(2)، فهو يرفض الإناخة أو الراحة مواصلًا رحلته، فقد ألقى الوسادة كناية

(1) دراسات تحليلية في الشعر العربي القديم، ثناء أنس الوجود، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، 1420هـ 2000م، ص127.
(2) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1992م، ص205.

عن عدم نومه، وهو في سيره على ظهر ناقته، يحاول أن يسابق الزمن الذي أسلمه لهذا السجن ليس منه فكاك" فالزمن يجري والناقة بعده تجري، وكأن بينهما ثأرًا، وكأنها تريد أن تدرك شيئًا غامضًا"(1).

ويتمادى مع هذه القفار واصفًا نفسه بأنه (أخو قفرات) بصيغة الغائب، وكأنه شخص آخر غريب في هذه القفار؛ ليصف كرمه في الأخير وكيف ينحر نوقه لضيوفه.

ويتذكر جحدر حياته - قبل السجن - مقارنًا بينها وبين ما صار إليه في السجن، فيقول:

إني أرقتُ لبرقٍ ضَافَنِي ساري ... كأنَّ في العينِ منهُ مسَّ عُوَّارِ

أو حَرَّ فُلْفُلةٍ كانت بها قَذِيَتْ ... لما بَرَى قِشْرَها عن حَرّهَا البَارِي

إنَّ الهمومَ إذا عَادَتْكَ وَارِدةً ... إنْ لَمْ تُفَرِّج لها وِرْدٌ بِإِصْدَارِ

كانت عليك سَقَامًا تَسْتَكِينُ له ... وَأَنْصَبَتْكَ لِحَاجَاتٍ وَإِذْكَارِ

فصرتُ في السجنِ والحراسُ تَحْرُسُنِي ... بعدَ التَّلَصُّصِ في برٍّ وأمصارِ

وسيرِ حرفٍ تجوبُ الليلَ جافلةً ... عومَ السفينةِ في ذي اللَّجَّةِ الجاري

يا نفسَ لا تجزعي إني إلى أَمَدٍ ... وكلُّ نفسٍ إلى يومٍ ومِقْدارِ

وما يُقَرّبُ يومي من مَدَى أَمَلِي ... فَاقْنَي حَيَاءَكِ تَرحالي وتَسْياري

إني إلى أجلٍ إن كنتِ عالمةً ... إليهِ ما منتهى علمي وآثاري

للهِ أنتِ فإن يعصمكِ فاعتصمي ... وإن كذبتِ فحسبي اللهُ من جارِ

إدعيهِ سراً وناديهِ علانيةً ... واللهُ يعلمُ إعلاني وإسراري

وما السعادةُ في الدنيا لذي أملٍ ... إنَّ السعيدَ الذي ينجو من النارِ

سَقياً لسجنك من سجنٍ وساكنهِ ... بديمةٍ من ذِهابِ الماءِ مدرارِ

بكلِّ جَونٍ رواياهُ مُطَبَّعَةٌ ... واهِي العَزَالِي من الجوزاءِ جَرَّارِ(2)

يقدم الشاعر مشهدًا للبرق الذي يزوره ليلًا محملًا بالهموم، مشبهًا إياه بالضيف غير أنه ضيف مفارق لأدب الضيافة؛ إذ تسبب في مرض العينين، وكأن القذي قد دخلهما، أو أصابهما حر فلفل. ويرغب في نسيان همه خارج هذا السجن، غير أن الواقع يحول بينه وبين ذلك؛ فترتد همومه إلى نفسه أمراضًا واستكانة وضعفًا، إذ تعمل فيه الخراب من خلال تذكره لهمومه.

ويحمل مشهد البرق المفارقة في الآلام التي يحملها في نفسه، والآمال التي يرمز إليها البرق في شوقه لأحبابه، وتتحقق المفارقة هنا بين حالتين متناقضتين عاشهما: كيف كان؟ وكيف أصبح؟! كان لصًا فاتكًا في البوادي والحواضر، وغدا في السجن مقيدًا. وتزيد هذه المفارقة نفسيته توترًا وقلقًا، إذ لا تستطيع نفسيته المنطلقة أن تتحمل هذا القيد، ولا هذا الحبس. وتزيد لفظة (بعد) المفارقة حدة من خلال الحالة التي صار إليها من لص فاتك - يخافه الجميع - إلى سجين مقيد تحرسه الحراس (والحراس تحرسني)

(1) صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، ص68.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 158/1، 159.

ويزيد صوت السين المكررة في البيت- وهو صوت مهموس- الشاعر حسرة من هذه الحال، وكذا استخدامه ضمير الذات في (فصرت، تحرسني) فمثله ينبغي ألا يكون في هذا المكان، والحراس تحرسه، ومن المعلوم أن الحراسة تعني الحفظ، وحرس فلانًا: حفظه (1)، فهو يتهكم من كونه في السجن والحراس تحرسه، إذ كيف يصبح مقيدًا محروسًا؟! وهو الذي ملأ البوادي والحواضر خوفًا وفزعًا منه، وتلصص أي تكررت سرقته (2)، وجاب الليالي على ظهر ناقته القوية الصلبة التي تقطع الصحراء كأنها سفينة تمخر في البحار.

لقد كان خارج السجن لصًا فاتكًا منطلقًا حيث شاء، ومن ثم غدا في السجن محاصرًا خنوعًا مستسلمًا، وتكرار صوت السين المهموس يتلاءم مع هذه الحالة؛ فالسجن هو المكان الذي لا يستطيع أن يفلت منه. إنه القدر الذي كُتب له، وهنا تتجاذب نفسه حالتا الأمل واليأس، والحياة والموت. غير أن اليأس يتغلب؛ إذ لا أمل له في الخروج من السجن، ومن ثم أدرك حقارة الحياة، والمصير المحتوم الذي ينتظره؛ لذا واجه هذا المصير بصبر وثبات، واستسلم استسلام الطائع، فقد تحول السجن من عذاب ووحشة إلى سعادة وأنس، فالسعادة الحقيقية ليست في طول الأمل، بل هي في النجاة من النار، والتقرب إلى الله والرضى بالموت؛ فيدعو لهذا السجن ولساكنيه بالسقيا بالأمطار الغزيرة المتتابعة. إنه الإيمان بالقدر والتسليم المطلق له، بعد أن عاش المفارقات العديدة في حياته من إغارة وسلب ونهب، ومن ثم انتهى به الأمر في السجن.

فالمفارقة هنا تقوم على كسر أفق توقع المتلقي، إذ يبني توقعه من خلال واقع الشاعر المسجون (بذم) هذا السجن، غير أن الدلالة تغير مجراها؛ من خلال دعاء الشاعر لهذا السجن بالسقيا، ما يجعل المتلقي يعيد قراءة البيت بطريقة مخالفة لتوقعاته.

مفارقة الطيف:

ومن مفارقات الذات مع نفسها: مفارقة طيف خيال المحبوبة، الذي يأتيه ليلًا وهو في السجن، يائسًا من خروجه. وقد يئس من الجميع، ولم يتبق له سوى طيف المحبوبة، الذي يأتيه ليلًا، فهذا الخطيم المحرزي يذكر طيف المحبوبة، يقول:

سمت لي بالبين اليماني صبابةً ... وأنت بعيدٌ قد نأيتَ عن المِصْرِ

أتيح لذي بثٍّ طريدٍ تَعُودُهُ ... همومٌ إذا ما بات طارقها يسري

بنجران يقري الهمَّ كلَّ غريبة ... بعيدةِ شأوِ الكَلْمِ باقيةَ الإثرِ

يُمَثِّلُهَا ذو حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ ... كئيبٌ يُوَسَّى بين قَرْنَةَ والفَهْرِ

فَقَالَ وَمَا يَرْجُو إلى الأَهْلِ رَدَّةً ... وَلَا أَنْ يَرى تِلْكَ البِلَادَ يَدَ الدَّهْرِ

لَعَمْرُكَ أَنِّي يَومَ نَعْفِ سُوَيقَةٍ ... لَمُعْتَرِفٌ بِالبَينِ مُحْتَسِبُ الصَّبْرِ

عَيُوفُ الذي قالت تَعَزَّ وَقَدْ رَأَتْ ... عَصَى البين شُقَّتْ وَاخْتِلَافًا من النَّجْرِ

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تحقيق/مجموعة من المحققين ومراجعة: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1975م – الكويت، مادة حرس، 531/15.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تحقيق/عبدالكريم العزباوي، مراجعة: عبد الستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت 1979م، مادة فراج مادة لصص، 146/18.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

عَلَيْكَ السَّلَامُ فَارْتَحِلْ غَيْرَ بَاعِدٍ وَمَا البُعْدُ إِلَّا فِي التَّنَائِي وَفِي الهَجْرِ

فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي سَتَبْلُغُ مُدَّتِي إِلَى قَدَرٍ مَا بَعْدَهُ لِي مِن قَدرِ (1)

يصف حالته في السجن في قيوده، وهو سجنٌ حسيٌّ ونفسيٌّ، يزيد حالته شوقًا إذا جن الليل؛ إذ يسرح بخياله واصفًا الصحراء وأهوالها، وكيف يقطعها هو ليلًا ونهارًا. ويذكر طيف الشوق الذي يأتيه، إذ يهيجه وهو بعيد عن وطنه بل عن كل الأمصار؛ فيتحدث عن نفسه بصيغة الخطاب، مجردًا من ذاته ذاتًا أخرى، فيوجه الخطاب لنفسه (وأنت، نأيتَ) وهو بذلك يحاول مواجهة نفسه بالحقيقة، وهي اليأس من الخروج من السجن والعودة لموطنه. ويلتفت أيضًا - ن الحديث عن نفسه بصيغة المخاطب (وأنتَ، نأيتَ) - إلى الحديث عن نفسه بصيغة الغائب (لذي بثٍّ، طريدٍ، تَعُودُهُ، بات، يقري) وفي كلتا الالتفاتتين يلتفت إلى نفسه، إذ يبدؤها بضمير المتكلم، ومن ثم ضمير المخاطب ليصير غائبًا. والغرض من ذلك الإنكار على نفسه وما حل بها؛ فقد صار غريبًا. والمبالغة في وصف ما صار إليه من هموم وغربة جسدية ونفسية، وهي انفعالات متتالية، تعبر عما يجول في نفسه من أسى وهموم، وشوق لمحبوبته ولموطنه.
وتصف هذه المفارقة نفسيته بين حالتين: كونه في السجن، ورغبته في الانطلاق خارجه، بين شوقه وصبابته، وكونه بعيدًا عن كل ذلك؛ إذ يشعر باستحالة تحققه وخروجه من السجن، وهو مما يزيد حالته النفسية وهمومه ويزيد المفارقة حدة. وعلى الرغم من ذلك، فإنه - خارج أسوار هذا السجن، والانطلاق بعيدًا في الصحراء وخلف المحبوبة - يجد في الخيال تسلية لحالته؛ فقد هيجه الشوق والصبابة لمحبوبته، فالهموم تعوده كل ليلة، ويطرقه طيف المحبوبة كلما حل الظلام ولاح نجم سهيل. ويجد في هذا الطيف تسلية له مما يعانيه؛ إذ يبثُّ من خلاله همومه، كيف لا، وهو مطرود من الجميع لا يتقبله أحد ولا يُلتفت إليه؟! فيبيت يجمع الهموم: هم سجن نجران الذي هو فيه، وهم محبوبته البعيدة في المكان عنه، لكنها قريبة من قلبه، باقية أثر المحبة في نفسه. وهنا يبث آهاته الطويلة؛ إذ يجزم أنه لن يعود إلى أهله ولن يراهم (وَمَا يَرْجُو إلى الأَهْلِ رَدَّةً) ولن يرى بلاده وموطنه أبد الدهر (وَلَا أَنْ يَرَى تِلْكَ البِلَادَ يَدَ الدَّهْرِ)، فقد بلغ منه اليأس مبلغه، فكيف له أن يراها؟! وقد حُكم عليه أن يظل حبيسًا مقيدًا في هذا السجن، ومن ثم يرى في الخيال واستحضار الماضي بديلًا يتأسى به.
يتذكر ساعة البين وموقف حبيبته من رحيله، ومستغربًا من المفارقة التي تطلبها منه هذه المحبوبة، وتريد منه أن يتعزى ويتأسى ويصبر على هذا الفراق، وقد رأت شدة وجده وهيامه واستحالة صبره، وقلة حيلته على ذلك؛ فقد حان الفراق والبين والبعد، واستحال التلاقي بعد ذلك، طالبة منه أن يرتحل غير بعيد، وهي مفارقة: فإذا لم يكن البعد في التنائي وفي البعد والهجر فأين يكون؟! وأخيرا، يعلن استسلامه للقدر وللنهاية المحتومة؛ فهو لن يعيش إلا ما قدر الله له أن يعيش، ومن ثم الاستسلام للموت وللقدر المكتوب الذي حدد له.
وفي خضم هذا الحصار الجسدي والنفسي في السجن، لا يملك سوى استدعاء الأماكن التي تحمل ذكرياته القديمة:

أَلَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً بِأَعْلَى بَلِيٍّ ذِي السَّلَامِ وَذِي السِّدْرِ

وَهَلْ أَهْبَطَنْ رَوْضَ القَطَا غَيرَ خَائِفٍ وهل أَصْبِحَنَّ الدَّهْرَ وَسْطَ بَنِي صَخْرِ

وَهَلْ أَسْمَعَنْ يَومًا بُكَاءَ حَمَامَةٍ تُنَادِي حَمَامًا فِي ذُرَى تَنْضُبٍ خُضْرِ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 242/1 – 244.

وَهَـلْ أَرَيَـنْ يَـومًـا أجِـيَـادًا أَقُـودُهَـا بِـذَاتِ الشُّـــقُـوقِ أو بَـأَنْـقَـائِـهَـا الـعُـفـرِ
وَهَـلْ تَـقَـطَـعَـنَّ الـخَـرْقَ بِـي عَـيْـدَهِـيَّـةٌ نَـجـاةٌ مـن الـعِـيـديّ تَـمْـرَحُ لِـلْـزَّجْـرِ
وَهَـلْ أَرَيَـنْ بَـيـنَ الـحُـفَـيـرَةِ والـحِـمَـى حِمَى النَّيْرِ أو يومـا بِـأَكْثِبَـة الشَّـــعْرِ
جَـمِـيـعَ بَـنِـي عَـمِّـي الـكِـرَامَ وَإِخْـوَتِـي وَذَلِكَ عَصْـرٌ قَدْ مَضَـى قَبْلَ ذَا العَصْـرِ(1)

يتمنى لو بات ليلة في (وذي السِّلام، وذي السِّدر، وروض القطا، وبني صَخْر، وتَنْضُب، وذي الشُّقُوق) نلحظ أنه يُكْثِر من ذكر أسماء المواضع في النص، وهي أسماء مواضع كان الشاعر يمر فيها، يتمنى من خلال هذه الاستدعاءات الخلاص مما هو فيه ولو بالخيال. إذ يتمنى المبيت بأعلى ذي السلام وذي السدر، ويرغب في الاستعلاء على هذا الحصار المطبق عليه من كل جانب، وأن يهبط في روض القطا غير خائف، يطلب الأمن والخوف الذي يفتقده ويرغب في تحقيقه. ويتمنى أن يصبح وسط بني صخر، نلاحظ لفظتي (وسط، صخر) توحيان في سياقهما بالحماية والمنعة التي افتقدها وطلبها في قومه. ويستمر في أمنياته في أن يسمع بكاء الحمام في ذرى تنضب، وهي تبكي، وكأنها تبكي حزنًا عليه وعلى فراقه، فتحن إليه في حين تخلى قومه عنه، ليسرح خياله بعدها في ذكر أولاد عمه، فيتمنى أن يراهم متذكرًا كيف كانوا في ألفة واجتماع متحدين، يخلص بعضهم لبعض قبل أن تدعوهم الغواة للتشتت والفرقة، وهو في كل ذلك يستعطفهم؛ لينقذوه ويخرجوه من السجن ويعودوا متحدين كما كانوا من قبل.

لقد أحس الشاعر - في هذا السجن - باليأس من خروجه منه فهو الموت البطيء؛ إذ أعمل السجن الخراب في جسمه، وجعل نفسه يائسة من الخلاص. فالسجن هو الموت البطيئ، وهو النهاية المؤلمة لكل من دخله، ومن ثم لم يجد الشاعر أفضل من خيال المحبوبة وطيفها " يتعلل بها، لكنه سرعان ما يدرك خيبة هذا الأمل، وبُعد هذا التصور؛ بسبب نذر دمه وتهديده باجتنابها"(2).

ويقول السمهري العكلي:

لَـقَـدْ طَـرَقَـتْ لَـيْـلَـى وَرِجْـلِـي رَهِـيـنَـةٌ فَمَـا رَاعَنِي فِي السِّـــجْنِ إِلَّا سَـــلَامُـهَـا
فَلَمَّـا ارْتَفَقْـتُ لِلْخَيـالِ الّـذِي سَـــــــرَى إِذِ الأَرْضُ قَـفْـرٌ قَـدْ عَـلَاهَـا قَـتَـامُـهَـا
وَنُـبِّـئْـتُ لَـيـلَـى بِـالـغَـرِيَّـيْـنِ سَـــلّـمَـتْ عَـلَـيَّ وَدُونِـي طِـخْـفَـةٌ فَـرجَـامُـهَـا
أَلَا لَـيْـتَـنَـا نَـحْـيَـا جَـمِـيـعًـا بِـغَـبْـطَـةٍ وَتَبْلَى عِظَـامِي حِينَ تَبْلَى عِظَـــــامُهَـا(3)

ويقول أيضًا:

ألا طَـرَقَـتْ لَـيْـلَـى وِســـاقِـي رَهِـيـنَـة بِـأَشْـــهَـبَ مَشْـــدُودٌ عَلَيَّ مَسَـــامِرُهُ(4)
ألا طَـرَقَـتْ لَـيْـلَـى وِســـاقِـي رَهِـيـنَـة بِـأَسْـــمَـرَ مَشْـــدُودٌ عَـلَـيَّ ثَـقِـيْـلُ
فـإن أَنْـجُ مِـنـهَـا أَنْـجُ مِـنْ ذِي عَـظِـيـمَـةٍ وإِنْ تَـكُـنِ الأُخْـرَى فَـتِـلْـكَ سَـــبِـيـلُ(5)

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 244/1، 245.
(2) شعراء أمويون، 136/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 283/1 – 284.
(4) نفسه، 275/1.
(5) نفسه، 279/1.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

وعادة ما يطرقه خيال المحبوبة ورجله رهينة مقيدة مشدودة بالحديد في السجن (وساقي رهينة، مشدود الوثاق، السجن، رهين، غريب)، ويكثر من ذكر اسم المحبوبة أثناء ذلك (طرقت ليلى، فإن أنج يا ليلى..)، فالقيد مشدود ونفسيته مشدودة يائسة من الخلاص، وليس له من تخفيف هم سوى ذكر المحبوبة وطروق خيالها، فهو نوع من التخفيف والتسلية عما يعانيه، ففي طروق خيالها وذكرها" صورة من صور التفريج وطرد الهموم والارتياح، إلى هذه اللمحات الخاطفة التي كان يصنعها أو يتصورها؛ ليبتعد عن واقعه المؤلم، ويخلد إلى الصورة التي كان يتمناها"(1).

مفارقة الذات مع القبيلة:

عادة ما تقوم القبيلة بحماية أبنائها والوقوف بجوارهم إذا واجهتهم الخطوب، يلجأ إليها المرء لتنجده وتقف بجواره، غير أن قبيلة عكل عادة ما تخذل أبناءها وتتركهم يواجهون الظلم وحيدين "ووفقًا لهذا التحول السالب تصبح مركزية القبيلة المقترنة بمفهوم القداسة/ التحريم متهاوية نحو اللامركزي/ الهامش"(2)، فهذا السمهري العكلي يمتلئ شعره بالحديث عن التشرد والخوف والقلق، وترتفع آهاته وصرخاته باحثًا عن النصرة والأمان، علّه يجده في قبيلته التي ما انفك يدافع عنها، محاولًا استثارة حميتها دون جدوى، ليصل في الأخير إلى التنصل منها ومن أناسها شبانها وشيبها، يقول:

ألاَ لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبِيلَتِي وَلَمْ أدْرِ مَا شَبّانُ عُكْلٍ وَشِيبُهَا

قُبِيّلَةٌ لاَ يَقْرَعُ البَابَ وَفْدُهَا بِخَيْرٍ وَلاَ يَأْتِي السَّدَادَ خَطِيبُهَا

فَإنْ تَكُ عُكْل سَرَّهَا مَا أَصَابَنِي فَقَدْ كُنْتُ مَصْبُوباً عَلَى مَنْ يَرِيبُهَا(3)

تظهر المفارقة بينه وبين قبيلته عكل: بين موقفه منها وموقفها منه، فيصل إلى حد اليأس، ويتمنى أنه لم يكن من هذه القبيلة، ولم ينتسب لها، إذ الواجب على القبيلة الدفاع عن رجالها وحمايتهم والوقوف ضد عدوها ونصرة المظلومين منها، وفك أسيرهم، وهو ما لم تفعله قبيلة عكل، فهذه القبيلة لا يأتي خير منها. هو يعلن القطيعة معها إذن، ويتحدث عنها مستخدمًا ضمير الغائب: شيبها، وفدها، خطيبها، سرها، يريبها.... ويكثر من استخدام ضمير المتكلم؛ للمقابلة بين حالتين: حالة الماضي الإيجابية (كنت، مصبوب) إيجابيته في الدفاع عن قبيلته، واستبساله عنها، ضد كل ما يصيبها، وبين سلبية قبيلته في التخلي عنه وتركه مسجونًا مظلومًا: (ليتني، قبيلتي، أصابني، أدر).

لقد أحس السمهري بالضياع والتشرد والغربة: الغربة عن نفسه وعن أرضه وأحبابه وقبيلته، لقد تنكر الجميع له وتخلوا عن نصرته واحتوائه، فأمسى طريدًا مشردًا، فانطلق هو وصاحبه ابن أبيض تائهين مبتعدين" عن أعين الناس، بحثًا عن الأمان المفقود وانتجاعًا للأرض التي يستطيعان فيها البقاء، دون ان يحسَّا بأشباح المطاردة التي بُثت عليهما في كل مكان، وأصبحا يتخوفان من كل إشارة"(4)

ألم تر أني وابن أبيض قد جفت بنا الأرضُ إلا أن نؤمَّ الفَيَافِيَا

طريدين من حيين شتَّى أشدّنا مخافتنا حتى نَخَلْنَا التصافيا(5)

وهذا الخطيم المحرزي يكشف المفارقة بين موقفه من قومه، وموقفهم منه وهو مسجون بنجران:

(1) شعراء أمويون، 138/1.
(2) مفارقات الهامش – قراءة في نونية قريط بن أنيف، المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت، يوسف عليمات، مج 34، عدد 135، 2016م، ص50.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 272/1.
(4) شعراء أمويون، 133/1.
(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 286/1.

بَـنـي مُـحـرِزٍ هَـل فـيـكُـم ابـنُ حَـمِـيَّـةٍ ... يَـقـومُ وَلَـو كـانَ الـقـيـام عـلـى جـمـر
بـمـا يُـؤمِـنُ الـمَـولـى وَمـا يَـرأَبُ الـنَّـأيَ ... وَخَـيـرُ الـمَـوالـي مِـن يَـريـشُ وَلا يَـبـري
كَـمـا أَنـا لَـو كـانَ الـمُشَـــــــرَّدُ مِـنكُم ... لَأَبـلَـيـتُ نُـجـحـاً أَو لـقـيـتُ عَـلـى عُـذرِ
لَأَعـطَـيـتُ مِـن مـالـي وَأَهـلـي رَهـيـنَـةً ... وَلا ضـــاقَ بِالإِصـــلاحِ مالي وَلا صَـــدري
بَـنـي مَـحـرِزٍ مَـن تَـجـعـلـونَ خَـلـيـفَـتـي ... إِذا نـابَـكـم يَـومـاً جَســـيـمًـا مِـنَ الأَمـرِ
بَـنـي مُـحـرِزٍ كُـنـتُـم وَمـا قَـد عَـلِـمـتُـم ... كَـفـارِيَـةٍ خَـرقـاءَ عَـيَّـت بِـمـا تَـفـري
رَأَت خَـلَـلاً مـا كُـلُّـهُ سَـــدُّ خَـرزِهـا ... وَأَثـأى عَلَيهـا الخَرْزُ مِن حَيـثُ لا تَـدري
بَـنـي مُـحـرِزٍ أَن تَـكـنِـسِ الـوَحـشُ بَـيـنَـكـم ... وَبَـيـنـي وَيَـبـعُـدْ مِـن قُـبـورِكُـم قَـبـري
فَـقَـد كُـنـتُ أَنـهـى عَـنـكُـم كُـلّ ظـالِـمٍ ... وَأَدفَـعُ عَـنـكُـم بِـالـيَـدَيـنِ وَبِـالـنَـحـرِ
مُـعَـنًّـى إِذا خَـصْـــمٌ أَدَلَّ عَـلَـيـكُـم ... بـنـي مُـحْـرِزٍ يـومًـا شَـــدَدْتُ لَـه أَزْرِي
بِـحَـدِّ سِـــنَـانٍ يُسـتـعـدُّ لِـمِـثْـلِـهِ ... وَرَقْـمِ لِسَـــانٍ لَا عَـيِـيٍّ وَلَا هَـذْرِ(1)

تبرز المفارقة من موقف أبناء قبيلته تجاهه وهو مسجون؛ إذ يوجه إليهم استفهامًا استنكاريًّا يتهكم - من خلاله - في مواقفهم تجاه القيام بواجباتهم تجاهه من جهة، وتجاه بعضهم بعضًا من جهة أخرى من تأمين فقيرهم، وإغاثة المحتاج الطريد. وتزداد حدة المفارقة من خلال تكرار النداء (بني محرز) حاذفًا منها أداة النداء؛ للتقرب إلى قومه ومحاولة استعطافهم، مذكرًا إياهم بمكانته منهم: إذ من سيقوم مقامه إذا حل بهم أمر أو نزلت بهم مصيبة؟! ويقرن النداء مرتين بالاستفهام، وثالثة بجملة الشرط، ورابعة بجمل خبرية، يشبه فيها قومه بدونه بالعاملة الخرازة، التي حاولت إصلاح خرزها فأفسدته بعجزها عن إصلاحه، وكذلك أمر قبيلته التي تعجز عن دفع المكاره إلا به:

- بَني مُحرِزٍ هَل فيكُم
- بَني مَحرِزٍ مَن تَجعلونَ
- بَني مُحرِزٍ أَن تَكنِسِ الوَحشُ
- بَني مُحرِزٍ كُنتُم وَما قَد عَلِمتُم

وتقترن نبرة الإنكار باستعطافهم؛ إذ يضع مقارنة بينه وبينهم توضح المفارقة بين الموقفين: فلو كان المسجون واحدًا منهم، لبذل كل ما بوسعه معه، ولبذل من ماله، ولرهن - حتى من أهله - ليفتديه من الأسر، ولما ضاق صدره ولا ماله من ذلك. وهو بذلك يلفت إلى موقفهم منه: فهو مشرد وطريد، ويحتاج إلى من يمد إليه يد العون، ويقومب افتدائه وإخراجه من السجن في نجران؛ لانتشاله من التشرد والضياع، وهو استعطاف منه لهم؛ ليخرجوه من السجن ويفتدوه. ويستمر في تعميق المفارقة؛ من خلال تذكيرهم بمواقفه معهم، بدفع كل ظالم عنهم بكل ما يستطيعه: باليدين وبالنحر، وبالسِّنَان، وباللسان، كناية عن بذله كل شيء: بجسمه وسيفه ولسانه.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 246/1، 247.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

وفي موضع آخر، يبين الخطيم المحرزي المفارقة بين ظلم قومه وكرههم له، وإنصاف الآخرين وحبهم له:

بَني ظالِمٍ إن تَظلِموني فَإِنَّني ... إِلى صالِحِ الأَقوامِ غَيرُ بَغيضِ

بني ظالم إن تمنعوا فضل ما بكم ... فإن بساطي في البلاد عريض(1)

وهذا جحدر المحرزي حاصرته الهموم، وأحاطت به مفارقات الحياة من كل جانب. فعاش آلامه وآماله ورغبته في الحياة والانطلاق وحصار الواقع له، وإحساسه بالضياع والتيه في هذه الحياة؛ ما جعله "رهين هم ملازم، وفريسة نوازع تشاؤمية حادة لا تنفك تعاوده كلما حاول التخلص منها؛ لأنه أصبح مقرًا لها، وقد استقرت هذه الصور في نفسه استقرارًا عميقًا؛ حتى صارت جزءًا من وجوده، وصفحة من صفحات حياته الحافلة بكل ضرب من ضروب الخوف والفزع والغربة"(2)، يقول جحدر وهو في سجن الحجاج:

تَأَوَّبَني فَبِتُّ لَهَا كَبِيعًا ... هُمُومٌ لَا تُفَارِقُنِي حَوانِ

هِيَ الغُوَّادُ لا عُوَّادُ قَومِي ... أَطَلْنَ عِيَادَتِي فِي ذا المَكَانِ

إِذَا مَا قُلْتُ: قَدْ أَجْلَينَ عَنِّي ... ثَنَى رَيعانَهُنَّ عَلَيَّ ثَانِ

فَإِنَّ مَقَرَّ مَنْزِلِهُنَّ قَلْبِي ... فَإِنْ أَنْفَهْنَهُ فَالقَلْبُ آنِ

أَلَيسَ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي ... يُحِبُّكَ أَيُّهَا البَرْقُ اليَمَانِي

وَأَهْوَى أَنْ أَعِيدَ إِلَيكَ طَرْفِي ... عَلَى عَدْواءَ مِن شُغُلٍ وَشَانِ

فَيَا أَخَوَيَّ مِنْ جُشَمِ بنِ سَعدٍ ... أَقِلاَّ اللومَ إن لم تنفعاني

إذا جاوزتما سَعَفَاتِ هَجْرٍ ... وأوديةَ اليمامةِ فانعياني

وقولا جحدرٌ أمسى رهينًا ... يحاذرُ وقعَ مصقولٍ يمانِ

إلى قومٍ إذا سمعوا بنعيي ... بكى شُبَّانُهُمْ وَبَكى الغَوانِي

يحاذرُ صولةَ الحجاج ظلمًا ... وما الحجاج ظلامًا لجانِ

ألم ترني غُذِيتُ أخا حُروبٍ ... إذا لم أجنِ كنتُ مِجَنَّ جَانِ

فإن أَهْلِكْ فَرُبَّ فَتًى سَيَبْكِي ... عليَّ مُخَضَّبٍ رَخِصِ البَنَانِ

ولم أكُ ما قضيتُ ديونَ نفسي ... ولا حقَّ المهندِ والسنانِ(3)

يذكر الهموم التي تنتابه ليلًا في السجن، وهي همومٌ حوانٍ تحنو عليه، وهي مفارقة وتهكم بهذه الهموم التي تعاوده وتتردد عليه، تعاوده وتجعله (كبيعًا) أي مشدودًا مأسورًا ذليلًا خاضعًا لا حيلة له، ولا مقدرة

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 248/1.
(2) شعراء أمويون 159/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 172/1 – 175.

عنده لمقاومتهن، كان يتمنى أن يزوره قومه ويفتدوه من الأســـر، لا هذه الهموم التي تطيل في عيادته، وهي عيادة غير مرحب بها؛ لأنها تعوده وتزوره لا لتنفس عليه، بل لتزيد من همومه ويأســه في مغادرة هذا السجن. وإذا ما ظن أنهن قد ذهبن عنه ورحلن، ثنى ريعانهن عليه مرة أخرى، وهي صورة تبين قوة المعاودة، إذ يعاودنه بريعانهن، أي: بقوتهن وشبابهن.

لم يعتمد الشاعر بنية لفظية معينة - يظهر من خلالها المفارقة - بل من خلال الأبيات التي شكلت علاقته مع قومه. فتشكلت المفارقة من العلاقة بين موقف قومه، مستحضـرًا اثنين من قومه في الواجب عليهما من الوقوف معه، وفك أسره من السجن، وما يمارسان من لومه وخذلانه وتركه في السجن أسيرًا، وبين ما كان عليه من الشـجاعة، وخشـيته من أن يموت ولم يؤد حقوق قومه عليه من الدفاع عنهم. والملاحظ أن جحدر، يختلف موقفه من قومه عن موقف الخطيم المحرزي، إذ لم يعاتب قومه كما فعل الخطيم بل اكتفى بذكر لومهم له، والحديث عما يعانيه (يحاذر صـــولة الحجاج، يحاذر وقع مصـــول يمان، أمســـى رهينًا...) ولم يطلب منهم فك أسره، بل يطلب عدم لومه عما يعمله (أقلاَّ اللومَ إن لم تنفعا لي) وقد" ظلت أنفاس الشـاعر وتطلعاته القبلية تصـب في إطار التزامه القبلي، وتشـد من ارتباطه الوثيق بهذا الالتزام؛ لأنه مؤمن بالتجاوب الحقيقي الذي تنطلق منه هذه الارتباطات، ولكن الذي يبدو هو أن قومه غير قادرين على رد ما كان يتعرض له من قضاء أو دفعه عنه"(1).

ثانيًا: أنواع المفارقة:

المفارقة اللفظية:

هي: "شـكل من أشـكال القول، يسـاق فيه معنى ما، في حين يقصـد منه معنى آخر، يخالف غالبًا المعنى السـطحي الظاهر"(2) إذ تمثل اللغة حلقة الوصـل بين التعبير والفكر، ويعبر كل شـخص - من خلالها - عما يدور في نفسه بأسلوب يختلف عن الآخر، وقد تعددت أساليب الشعراء الصعاليك - في قبيلة عكل - في التعبير عما يدور في نفوسهم من آمال وآلام.

وتتشـكل هذه المفارقة: حين يؤدي اللفظ مدلولين متناقضـين: أحدهما قريب يفسـره اللفظ تفسـيرًا حرفيًا، والآخر بعيد يفسـره السـياق، وهي " تثير أسـئلة تقع في باب البلاغة والأسـلوب والأشـكال القصـصـية والهجائية ووســائل الهجاء"(3) أي أن اللفظ هو المرتكز الأســاس في هذا النوع من المفارقة، والســمة الأســاس لهذه المفارقة هو التناقض الظاهري للكلام" وتؤدي المفارقة اللفظية دورًا كبيرًا في تقوية جدار النص، إذ إنها تعمل على ترسـيخ بنيته وتقوية معماره، كما إنها تعمل على دفع القارئ للبحث عن المعنى الحقيقي الكامن وراء النص"(4).

ومن صور المفارقة اللفظية قول جحدر العكلي:

يـا صـــــاحِبَيَّ وَبـابُ السِـــجنِ دونَكُمـا ... هَـل تُؤنِســـــانِ بِصَـــحراءِ اللِّوى نـارا

لِـوى الـدَّخـولِ إِلـى الـجَرعـاءِ مـوقِـدُهـا ... وَالـنـارُ تُـبـدي لِـذي الـحـاجـاتِ أَذْكـارا

لَـو يُـتـبَـعُ الـحَـقُّ فـيـمـا قَـد مُـنـيـتُ بِـهِ ... أَو يُـتـبَـعُ الـعَـدلُ مـا عَـمَّـرتَ (دوّار)ا

(1) شعراء أمويون، 159/1.
(2) المفارقة القرآنية- دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ 1994م، ص71.
(3) المفارقة وصفاتها، سي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ضمن كتاب موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان، دار عمار عمّان- الأردن، ط1، 1993م، 73/4.
(4) المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، ازدهار عبد الرحيم الخلايلة، ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن، 2009، ص11.

إذا تَحَرَّكَ بابُ السِجنِ قامَ لَهُ قَومٌ يَمُدّونَ أَعناقًا وَأَبصارا (1)

يستدعي جَحْدَر (صاحبيه) كما استدعى الشاعر الجاهلي صاحبيه من قبل، غير أن الفرق أن الشاعر الجاهلي، استدعى صاحبيه في معرض الوقوف على الطلل ووصف الظعائن؛ إذ يطلب منهما مساعدته في تتبع الظعائن ورؤيتها أو رؤية النيران التي يوقدونها. وكذلك الشاعر هنا يطلب من صاحبيه مساعدته في رؤية نيران أحبابه في صحراء اللوى، غير أنه طلب محكوم عليه بالفشل مقدمًا، وهو ما تبرزه المفارقة في الجملة الاعتراضية (وباب السجن دونكما) إذ يعمد الشاعر إلى استباق النتيجة بهذه الجملة؛ فهو ليس طلبًا حقيقيًا بقدر ما هو استدعاء نفسي، يزيد من اشتياق الشاعر إلى موطنه وتذكر الأحباب، وتمنيه الخلاص من هذا السجن والالتقاء بهم. وتبرز المفارقة في هذا السجن في كون النتيجة معروفة مسبقًا، وهو ما يزيد الشاعر حسرة وألمًا.

والنار عادة ما تكون رمزًا للعذاب، غير أنها هنا غدت علامة الفرحة والاستبشار بتذكر الأحباب والأنس بطيفهم؟، وتزداد المفارقة حدة من خلال ذكر موضع بلده (الدَخولِ، الجَرعاءِ) وبينهما يمتد موقد النار التي يتخيلها، وهي نار العذاب والغربة داخل السجن، وشدة الشوق إلى أحبابه، وهي نار طيف الأحباب يجتمع فيها المفارقة بين الشوق لأحبابه وبين كونه في السجن، إذ يحول باب السجن دون رؤيتها.

وهو يستدعي في هذه الأبيات قصة يوسف عليه السلام، مع صاحبي سجنه في قوله تعالى (يا صاحبي السجن) فإذا كان يوسف عليه السلام قد ظلم من قبل الملك، فإن الشاعر قد ظلم أيضًا في هذا السجن (دوّار) وذكر اسم السجن يزيد من ألم الشاعر وحسرته، ويثير الأحزان والمشاعر السلبية؛ من خلال الأحداث التي يعانيها فيه، وما تتبعها من ذكريات أليمة لا تنسى بسهولة. وإذا كانت براءة يوسف عليه السلام قد ظهرت - ورفع الملك من شأنه - واتضح أن ذلك مكايدات، فإن الشاعر يأمل في إظهار براءته وإنصافه من الوشايات والمكايدات. وهو لا يطلب الإنصاف لنفسه فحسب، بل يطلبه لجميع من في السجن، فجميع من في السجن مظلومون؛ لذا راح يصف حالتهم النفسية فيه، واصفًا باب هذا السجن، فهو باب مصنوع من الساج، وعليه قفل أمين صرار:

فِي جَوفِ ذِي شُرُفَاتٍ سُدَّ مَخْرَجُهُ بِبَابِ سَاجٍ أَمِينِ القُفْلِ صَرَّارِ (2)

فباب السجن يمثل الأمل واليأس في الوقت نفسه. إنه حاجز بين الحرية والعبودية، بين الانطلاق والحبس، فإذا تحرك هذا الباب مدَّ مَنْ في هذا السجن أعناقهم؛ أملًا في الخروج والانعتاق منه، والصورة في قوله (يمدون أعناقًا وأبصارًا) تزيد من تعاطف المتلقي مع هؤلاء المسجونين ظلمًا، إذ توحي الأعناق والأبصار نحو الخارج بتتابع المد وتكرارها - برغبة وحرص واهتمام - للأمل الذي يراودهم في الخروج من السجن، والتخلص منه؛ فمن خلال هذا الباب - وهذه الشرفات - ينتظر الأمل، ومن خلالها تنثال عليه أطياف الأحبة؛ لينطلق في خيالاته محلقًا معهم.

ويعقد مفارقة بين ما هو كائن في السجن، وبين ما ينبغي أن تكون حالة هذا السجن: وقد اختصر ما يحدث له في السجن باسم الموصول (ما) في قوله (فيما قد منيت به) هروبًا من ذكر ما يعانيه في سجنه وتقييدهم له، فلو اتبع الحق فيما أصابه وابتلي به، لما عُمِّرَ هذا السجن به وبأمثاله، وما صار مكانًا للكرام يُذَلّون فيه ويذوقون ألوان العذاب، في حين أن غيرهم من اللئام طلقاء، وهو ما يذكره في موضع آخر:

أَقولُ لِلصاحِبِ في البَيضاءِ دونَكُم مَحَلَّةً سَوَّدَت بَيضاءَ أَقطاري

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 156/1، 157.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 160/1.

مَـأوى الـفَـتـوَةِ لِـلأَنـذالِ مُـذ خُـلِـقَـت عِـنـدَ الـكِـرامِ مَـحَـلُّ الـذُلُّ وَالـعـارِ

كَـأَنَّ ســـاكِـنَـهـا مِـن قَـعـرِهـا أَبَـدًا لَـدى الـخُـروجِ كَـمُـنـتـاشٍ مِـنَ الـنـار(1)

وتبرز المفارقة في لفظ (البيضاء) وهو موضع في البصرة، وفيه السجن، واللون (الأبيض) لا يتلاءم مع السجن؛ لأنه يدل على الصفاء والعدل والإشراق والأمل والراحة النفسية.. غير أن البيضاء هنا غدت سجنًا، يحوي صنوف العذاب والقهر والذل والحرمان والكبت؛ فهي بيضاء في اللفظ وسوداء في أفعالها؛ لأنها سودت حياته. ونلاحظ الجناس في لفظة البيضاء: فالبيضاء الأولى مكان وموضع بالبصرة وهو المُخَيّس (2)، والمُخيّس: السّجن لأنه يُخيّس المَحْبوسين (3)، في حين بيضاء الثانية وصف لحياته التي كانت بيضاء حولها السجن إلى سوداء. وتزداد حدة المفارقة من لفظ (دونكم) إذ يقوم صانع المفارقة بالتهكم والسخرية من السجن؛ من خلال الصيغة المستخدمة (دونكم) وهي اسم فعل أمر بمعنى خذ أو الزم على سبيل الإغراء. وهو ما يشكل تناقضًا بين واقع الشاعر في السجن، وبين الصيغة المستخدمة؛ ما يحتم على المتلقي إعادة تفسير البيت بطريقة مخالفة للمدلول الحرفي.

والمأوى: المكان والمنزل، وأويت بمعنى عُدت (4) فهذا السجن مكان ومنزل يعود المرء إليه ليأوي ويأنس به، غير أنه هنا مكان (للأنذال) فقط مذ خلقت هذه المدينة، ووضعت فيها هذه السجون، أما الكرام فهي عندهم مأوى للذل، والعار الذي يلحق بهم جراء التعذيب الذي يحصل لهم فيه. ويزداد المتلقي تعاطفًا؛ من خلال استدعاء الشاعر لنار جهنم، إذ يغدو كل من دخل إليها سكانها للأبد، فهم في قعرها أي عمقها ومنتهاها، كقعر جهنم، ومن يخرج منها كأنه انتاش وخرج من النار، وانتاش الشيء: اسْتَدْرَكه واسْتَنْقَذَه(5)، وفيه معنى البطء ونَأَشَ الشيءَ: أَخَّرَه وانْتَأَشَ: تأَخَّرَ وتَباعدَ والنَّئِيشُ الحركةُ في إِبْطاء(6) ويتحدث عن حالتهم قبل: فمنازلهم متفرقة، وبيئاتهم مختلفة، فهم مشتتون، وقد ألَّف بينهم سجن (دوّار) وجمعهم فيه، وهو مجاز؛ إذ ينسب الجمع للمكان وهو سجن (دوّار)، فالشاعر هنا يعمد إلى إحداث مفارقة في لفظة (ألَّف)، وهي لفظة تحمل في سياقاتها الدلالة على الاجتماع والأنس، غير أنها هنا غدت خوفًا وعذابًا؛ إذ يوردها في سياق وصف حالته مع أصحابه في السجن، فيبدأ بدعوته لله تعالى: أن يجيره من شر ما هو خائف منه. وفي دعوته لله دلالة على بلوغه حد اليأس من خلاصه من هذا السجن، والله وحده هو من يستطيع تفريج همه. ثم يصف ما يلاقيه هو وأصحابه في هذا السجن، فهم في أزل، والأَزْلُ" الضيق والشدّة والأَزْلُ الحبس، وأَزَلَه يأْزِلُه أَزْلاً حبسه، والأَزْلُ شدّة الزمان"(7)، فهم في الضِّيق والعذاب النفسي والجسدي، إذ يَمنعون عنهم الزُّوَّار، ويصور كيف توضع أقدامهم في مقطرة: وهي خشبة تفصل اللحم عن العظم، وهي كناية عما يعانون من عذاب داخل السجن، إذ يُفصل لحم أقدامهم عن العظم بفعل هذه المقطرة، فكأنهم حيوانات تُذبح وتُفصل لحومها عن العظم، وتوحي لفظة الجزار بمدى ما بلغهم من العذاب، يقول:

إِنِّـي دَعَـوتُـك يـا إلـه مُـحَـمَّـدٍ دعـوى فَـأوَّلُـهـا لِـيَ اسـتـغـفـارُ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 161/1.
(2) لسان العرب، ابن منظور، صححه/محمد عبد الوهاب – محمد العبيدي دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان، 1999م، 260/4.
(3) نفسه، 260/4.
(4) نفسه، مادة أوا، 274/1.
(5) نفسه، مادة نأش، 6/14.
(6) نفسه، مادة نأش، 6/14.
(7) نفسه، مادة أزل،134/1.

لِتُجِيرَنِي من شَـــــــرِّ مَـا أَنَـا خَـائِفٌ رَبّ الـبَـرِيَّـةِ لـيـس مِـثْـلُـكَ جَـارُ
تَقْضِـــــــي ولا يُقْضَـــــــى عليك وإنَّمَا ربـــي بـعـلـمـك تَـنْـزِلُ الأقـدارُ
كـانَـت مَـنـازِلُـنَـا الّـتـي كُـنّـا بِـهـا شَـــتّـــى وَأَلّـفَ بَـيـنَـنـا (دوّار)
ســـجـنٌ يُـلاقـي أَهْـلُـهُ مِـن خَـوفِـهِ أَزْلاً وَيُـمـنَـعُ مِـنـهُـمُ الـزُّوّارُ
يَـغشَـــونَ مِـقـطَـرَةً كَـأَنَّ عَـمـودَهـا عُـنُـقٌ يُـعَـرّقُ لَـحـمَـهـا الـجَـزّارُ (1)

ويخالف دلالة لفظتي (بيت - دار) في دلالتهما على الاستقرار والأمن والخلود للراحة، ومن ثم الانتشار في الأرض، وانحرف بهما عن سـياقهما اللغوي والاجتماعي ودلالتهما الإيجابية؛ ليعبر بهما في هذه الأبيات عن السجن، لتغدو كل منهما ذات دلالة سلبية: فهذا السجن بيت جمع فيه العذاب والحبس وانعدام الأمان، إنه بيت من سـقر؛ لذا فهو أبغض بيت عند الله تعالى. وهي دار غير أنها دار قد عفّى عليها الدهر، وصارت موحشة، تجمع فيها الناس كلهم؛ دلالة على انتشار الظلم وامتداده ليشمل الجميع. ويؤكد ذلك باحتواء هذا السجن على كل إنسي سواء كانوا من البدو أو من الحضر. وفي استدعائه للفظ الجلالة؛ ليؤكد أن الله تعالى بريء من هؤلاء السجانين، وممن يضعون الناس فيها باسمه تعالى. وفي استدعائه (سقر) دلالة على مصير هؤلاء في الآخرة؛ فهو عذاب للمظلومين في الدنيا، غير أنه بيت من سقر، وموعد للظالمين ينتظرهم في الآخرة جزاء؛ ما فعلوه بالمظلومين في السجن.

وتزداد حدة المفارقة من خلال وصفه للسجن بالمثوى، وفي المثوى دلالة على الإقامة والاستقرار زمنًا طويلًا؛ ما يزيد من حسرة الشاعر ويأسه من خروجه من السجن، إذ يغدو مكانًا للجمود وعدم الحركة، مكانًا يدخل فيه الناس ولا يخرجون. وهو دار غير أنها دار قد عفّى عليها الدهر، فغدت موحشة من كل بشر، يقول:

يـا رَبِّ أَبْـغـضُ بَـيـتٍ عـنـد خـالِـقِـهِ بَـيـتٌ بِـكَـوفـانَ مِـنـهُ أَشـعِـلَـت سَـقَـرُ
مَـثـوى تَـجَـمَّـعَ فـيـهِ الـنـاسُ كُـلّـهُـم شَـــتّـــى الأُمـورِ فَـلا وَردٌ وَلا صَـــدَرُ
دارٌ عَـلَـيـهـا عَـفـاءُ الـدَهـرِ مـوحِشَـــةٌ مِن كُلِّ إنسٍ وَفيها البُدوُ وَالحَضَـــــرُ (2)

ومن المفارقة اللفظية: قول السَّـمْهَرِي العُكَلِي من أبيات يمدح فيها الحارثيين، يطلب منهم في نجدته، يقول:

فـلا تـيـأسـا مـن رحـمـة الله وانـظـرا بـوادي جَـبُـونـا أن تـهـب شـمـالُ
وَلَا تَـيـأَسَـا أن تُـرزَقـا أَرْيَـحِـيَّـةً كَـعَـيـنِ الـمَـهَـا أَعْـنَـاقُـهـنَّ طِـوَالُ
مـن الـحـارِثِـيّـيـن الـذيـن دِمَـاؤُهُـم حَـرَامٌ وأَمَّـا مَـالُـهُـم فَـحَـلَالُ(3)

وتتجلى المفارقة اللفظية بين لفظتي (حرام، حلال)، فدماؤهم حرام على أعدائهم: لا ينالون منها شـيئًا، وهي كناية عن قوتهم ومنعتهم وتفوقهم على الأعداء، وصـعوبة النيل منهم. في حين أن أموالهم حلال على الغير، وهي كناية عن كرمهم؛ فهي حلال على كل من أرادها، لكرمهم وطيب أنفسهم في ذلك.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 15/1.
(2) نفسه، 157/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 279/1.

المفارقة الدرامية:

وفيها تكون ضـــحية المفارقة (جاهلة) بما يدور حولها، مع علم بقية الأطراف والجمهور بالأمر: أي أن هناك ثلاثة أطراف تشـــترك في هذه المفارقة: الضـــحية وهي جاهلة، إذ تقوم بأفعال لا تدرك حقيقتها، والطرف الثاني وهو صـــانع المفارقة وهو مدرك لحقيقة الأفعال التي تقوم بها الضـــحية، والطرف الثالث وهو الجمهور أو المتلقي، وهذا الطرف يدرك حقيقة هذا الفعل، ونلحظ أن الطرفين الثاني والثالث يكتفيان بمشاهدة الضحية تتخبط، راغبين في تنبيهها إلى جهلها. وكلما "كان المشاهد على علم مسبق بما سوف يكتشفه ضحية المفارقة فيما بعد، ازداد تأثير المفارقة في المشاهد نفسه" (1).

ويحاول الشـــاعر - من خلال المفارقة الدرامية - التعبير عن رؤيته للحياة والمجتمع من حوله؛ إذ تعتمد هذه المفارقة (على بنية العمل) أكثر من اعتمادها على العلاقات الدلالية بين الكلمات. وتتحقق من خلال تعاطف الجمهور مع الضحية، وجهلها بالمصير الذي ستصير إليه، إذ تقوم بإثارة القارئ بالكشف عنها من خلال التوترات التي تضـــعها المفارقة في النص، والفرق بينها وبين المفارقة اللفظية" أنها تقوم على خيال درامي، يتمثل في تقديم المبدع المواقف والأحداث التي تثير الإحساس بالمفارقة"(2)

ومن أمثلة المفارقة الدرامية قول السمهري:

لَـقَـدْ جَـمَـعَ الـحَـدَّادُ بَـيْـنَ عِصَـــابَـةٍ ... تَسَـــاَءلُ فـي الأسْـــجَـانِ مَـاذَا ذُنُوبُـهـا

مُـقَـرَّنَـةِ الأقْـدَامِ فِـي السِّـــجْنِ تَشـــتَكِي ... ظَـنَـانِـيـبَ قَـدْ أمْسَـــتْ مُبِيناً عُلُوبُهَا

إذَا حَـرَسَـــيٌّ قَـعْـقَـعَ الـبَـابَ أرْعِـدَتْ ... فَـرَائِـصُ أقْـوَامٍ وَطَـارَتْ قُـلُـوبُـهَـا

نرى البـاب لا نسْـــطِيع شـــيئًـا وراءه ... كـأنـا قِـنـيٌّ أسْـــلَـمـتَـهَـا كُـعُـوبُـهـا

بِـمَـنْـزَلَـةٍ أمَّـا الـلّـئِـيـمُ فَـآمِـنٌ ... بِـهَـا وَكِـرَامُ الـقَـوْمِ بَـادٍ شُـــحُـوبُـهـا(3)

تتجلى المفارقة في هذه الأبيات؛ من خلال وجودهم في السجن من دون أن يعرفوا سببًا لذلك، وهو ليس سجنًا واحدًا، بل سجون. وهو ينسب جمعهم إلى الحداد الذي صنع القيود التي كبلوا بها، والفاعل الحقيقي هو الحاكم، سخرية بالسجن وتهكمًا به وبمن أودعهم في السجن؛ إذ لا يمكن أن يأمر بذلك المنصف العادل، والجمع في الأصل يدل على القوة والموافقة، صحيح أنهم متفقون، غير أن اتفاقهم في معاناتهم في السجن، والعصابة: جماعة ليس لها واحد (4)، فهم من بقاع شتى جمعتهم مظلوميتهم لا يعرفون ما ذنوبهم، ولم هم في السجن؟! إذ لم يقترفوا ذنبًا يوجب ذلك. وتتعمق هذه المفارقة في أصناف العذاب الذي يلاقونه في السجن.

وقد قُيِّدَت أرجلهم وشُدَّت ووصلت بعضها ببعض، ويصف معاناة هذه الأقدام وشكواها من القيود التي أثرت على ظنابيبها، وهي جمع ظنبوب، أي: "حَرْفُ العظم اليابِسُ من السَّـــاقِ"(5)، فقد أثرت هذه القيود على عظام سيقانهم، وأصبحت ظاهرة مكشوفة اللحم من أثر القيود والضرب الذي يتعرضون له، ويصف الحالة النفسية التي يعانونها في السجن من الحرسي، وهم "حَرَسِ السلطانِ الذين يُرَتِّبونَ لِحِفظِه وحِراسَتِه"(6): فإذا حرك الحرسي باب السجن ارتعدت فرائصهم، وطارت قلوبهم، وأقصى ما يستطيعون

(1) المفارقة والأدب – دراسة في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق، عمان – الأردن، ط1، 1999م، ص31.
(2) المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد – الأردن 2017م ص37.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 271/1، 272.
(4) تاج العروس، مادة عصب، 768/1.
(5) لسان العرب، مادة ظنب، 572/1.
(6) تاج العروس، مادة حرس، 3893/1.

رؤيته هو الباب المغلق، وهو علامة للحواجز التي تحول بينهم وبين الحرية التي ينشـــدونها لأنفســـهم، ويرغبون في رؤيتها وراء هذا الباب، ويشبه حالتهم النفسية جراء فتح الحسي لباب السجن بالقني- وهي الرماح - التي تكسرت كعوبها وأصبحت عاجزة جوفاء، فقد انكسرت نفوسهم وأهينوا داخل هذا السجن دون ذنب، وأصبحوا كهذه الرماح الجوفاء، وهو هنا إذ يعيش مفارقة: بين رجائه في النجاة والخروج من السجن، وبين أمر السجان بقتله إذا تحرك الباب وأقبل السجان، يقول:

فـإن أنـجُ منـهـا أنـجُ من ذي عظـيـمـة وإن تـكـن الأخـرى فـتـلـك ســـبـيـل(1)

وفي موضع آخر يقول:

ألا أيـهـا الـبـيـت الـذي أنـا هـاجـره فلا البيـت منســـــــــيٌّ ولا أنـا زائره

فـإن أَنْـجُ يَـا لَـيـلَـى فَـرُبَّ فَـتًـى نَـجَـا وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرى فَشِـــــــيءٌ أُحَـاذِرُه(2)

ومن المفترض أن يكون هذا السجن مأوى اللئام، غير أن المفارقة جعلته مأوى للكرام؛ إذ يذيقهم فيه اللئام ألوان العذاب، إنها صرخة في وجه الزمن التعيس والواقع المعكوس.

مفارقة الحدث:

يمكننا التفريق بين "المفارقة الدرامية ومفارقة الأحداث، ففي الأخيرة يساير جهل الضحية جهل الجمهور الذي يشـارك الضـحية في غفلتها"(3)، أي أن كلتا المفارقتين تسـير بالحدث إلى نهاية المفارقة. غير أن الفرق يكمن في الجهل والمعرفة: ففي المفارقة الدرامية نجد أن طرفًا - أو أكثر - على علم بالمفارقة من بداية الحدث، أما في مفارقة الحدث فيسـاير جهل الضـحية جهل الجمهور، وتُكتشـف المفارقة في نهاية الحدث. أي أن المفارقة الدرامية لاتصل إلى نهاية الحدث؛ لأن موضوعها الجهل وعدم الوعي بحقيقة ما يجري، في حين أن مفارقة الحدث تصل إلى النهاية.

وفي مفارقة الحدث" يعبّر الضحية صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص، لكن تطورًا غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته، وآماله ومخاوفه أو رغباته. ثم يحصـــل على ما كان قد تمناه مرة، ولكن في آخر المطاف وبعد فوات الأوان"(4)، ومن أمثلة مفارقة الحدث قول جحدر العكلي:

يـا جُـمـلُ إنـكِ لَـو شَـــهِـدتِ كـريـهـتـي فـي يَـومِ هَـولٍ مُســـدِفٍ وَعَـجـاجِ

وَتَـقَـدُّمـي لِـلـيـثِ أرسَـــفُ مـوثَـقًـا كـيـمـا أكـابِـرَهُ عَـلـى الأحـراجِ

أقـبـلـت أَرسُـــفُ فـي الـحَـديـدِ مُـكَـبَّـلًا بِـالمَوتِ نَفســـــــي عِنـدَ ذاكَ أُنـاجي

وَالـنـاسُ مِـنـهُـم شـــامـتٌ وَعِـصـــابَـةٌ عَـبَـراتُـهُـم بـي فـي الـخُـلـوقِ شَـــواجي

قِرنـانِ مُحتَضَـــــــرانِ قَـد مَحَضْـتُهُمَـا أُمُّ الـمَـنِـيَـةِ غَـيـرُ ذاتِ نِـتـاجِ

لَمّـا نَزَلـتُ بِحُصـــنِ أَزبَرَ مُهصِـــــرٍ لِـلـقِـرنِ أَرواحُ الـعِـدى مَـجَّـاجِ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 279/1.
(2) نفسه، 275/1.
(3) المفارقة في الشعر العربي الحديث – محمود درويش – أمل دنقل – سعدي يوسف) ناصر يوسف إبراهيم جابر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م، ص57.
(4) المفارقة وصفاتها، سي ميويك، 4م 94.

نـازَلـتُـهُ إنَّ الـنِـزالَ سَـــجِـيَّـتـي إنّـي لـمَـن سَـــلَـفـي عَـلـى مِـنـهـاجِ
وَعَـلِـمـتُ أنّـي لـو أبَـيـتُ نِـزالَـهُ أنّـي مِـنَ الـحـجّـاجِ لَسـتُ بِـنـاجِ
فَـفَـلَـقـتُ هـامَـتَـهُ فَـخَـرَّ كَـأنَّـهُ أطُـمٌ هَـوى مَـتـقـوّضَ الأبـراجِ
ثُمَّ اِنثَنَيـتُ وَفي قَميصـــــي شـــاهِـدٌ مِـمّـا جَـرى مِـن شـــاخِـبِ الأوداجِ(1)

تمثل القصيدة صورة كلية تحكي صراع الشاعر مع الأسد، إذ تنتظم أجزاؤها وتترابط وتتمدد؛ لتشكل صورة كلية "تتفاعل وتترابط وتتسلسل بطريقة ينمو معها الإحساس والأفكار والمشاعر، وتبدو الصورة الكلية حية متدفقة، ترتبط بالتيار الشعوري الموحد للقصيدة"(2)، لتكتمل المفارقة في نهاية القصيدة، إذ تشير الأحداث المتوقعة إلى كون الشاعر مهزومًا من الأسد: فالشاعر مقيد، والأسد مفترس وجائع، غير أن الشاعر هنا يخرق أفق توقع القارئ أو الجمهور، إذ يصرع الشاعرُ المقيدُ الأسدَ المفترسَ، مما يزيد المفارقة حدة وثراء؛ من خلال الفخر بنفسه والسخرية والتهكم بالآخر الذي أراد قتله.

وتتضح المفارقة: بين تكبيل الحجاج للشاعر بالقيود، وبين تركه يواجه أسدًا ضاريًا، لم تُترك للشاعر فرصة للاختيار: فهو بين وعيد الحجاج بالقتل، وبين نزال الأسد. فيبدأ الشاعر بوصف هذه المواجهة بأنها حرب شديدة، فهي مكروهة؛ لاختلال موازين القوى بين رجل مكبل وأسد طليق، ويصف شدة المعركة من خلال وصف زمان المواجهة ومكانها: فاليوم يوم هول مخيف، وميدان المعركة مظلم لكثرة الغبار فيه، وتزداد المفارقة عمقًا من خلال شجاعته وتقدمه للمواجهة وهو يرسف، أي يمشي في قيده ببطء يقال رَسَفَ أي: "مشى مشي المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد"(3)؛ ليصارع الأسد ويغالبه (أقبلت أَرسُفُ في الحَديدِ مُكَبَّلًا).

وتظهر معرفة المتلقي بعبثية هذه المواجهة؛ لاختلال موازين القوى بين شخص مكبل، وبين أسد ضارٍ، إذ تترك هذا المواجهة المتلقي إما شامتًا به، أو متعاطفًا مع الشاعر. ويصور الحالة النفسية للمتعاطفين مع الشاعر، فهم متعاطفون معه، ودموعهم في حلوقهم تكاد تشرقهم من كثرة الحزن. ويصف تفاعله - مع ما يشاهده من دموع المتعاطفين معه - في قوله؛ من خلال استخدامه لياء المتكلم في قوله (عَبَراتُهُم بي في الحُلوقِ شَواجي) أي بسببي، وبما يرونه من حالتي في هذه المواجهة.

غير أن النهاية تخرق أفق المتلقي، إذ ينتصر الشاعر ويُصرع الأسد من أول المواجهة. إنه الصراع بين الحق والباطل، بين الظالم والمظلوم، ينتهي هذا الصراع بانتصار الحق، ونلاحظ أن الشاعر يذكر خصمه مستخدمًا ضمير الغائب، فالباطل مُغَيَّبٌ وضعيف، وإن تلفع بجلد أسد وبدا قويًا وحاضرًا.

وفي موضع آخر يحمد جحدر الليالي، التي أحسنت إليه وأطلقته من هذا الأسد، ومن سجن (الديماس) وهو سجن كان بواسط، واصفًا ما يعانيه من دخله، مفارقًا بين من هو خارج هذا السجن وبين من هو داخله، فمن كان فيه فهو ميت، وإن كانت فيه حياة، فهو حي كميت،

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 152/1 - 154.
(2) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1994م، ص141.
(3) تاج العروس مادة رسف، 338/23.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

يقول:

إنَّ اللّيـالـي نَـجَـت بـي فَـهـيَ مُحسِـنَـةٌ لا شَـكَّ فيـهِ مِنَّ الـدِّيمـاسِ وَالأَسَـدِ

وَأَطـلَـقَـتـنـي مِـنَ الأَصـفـادِ مُـخـرِجَـةً مِن حَولِ سِـجنٍ شَـديدِ البَأسِ ذي رَصَـدِ

كَـأَنَّ سـاكِـنَـهُ حَـيًّـا حَشـاشَـتُـهُ مَيْـتٌ تَرَدَّدَ مِنـهُ السـمُّ في الجَسَـدِ(1)

النتائج

وبعد هذه الوقفة مع المفارقات عند الشعراء اللصوص من قبيلة عكل، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- حصار الواقع بعناصره المختلفة للشاعر (كونه مسجونًا) وما يتعرض له من ألوان العذاب في هذا السجن، يحاول مواجهة ذلك ليستسلم في الأخير إلى قدره، بعد شعوره باليأس.

2- يعمد الشـاعر إلى اسـتدعاء الزمن (الماضـي) زمن الحرية والقوة والكرم والانطلاق؛ من خلال الرحيل بخياله إلى ذلك الزمن، محاولًا التماسك أمام واقعه، وبعث الأمل في نفسه. فيُمضي همومه متوحدًا مع نوقه، ومع الصـحارَى المهلكة الموحشـة يواجه من خلالها واقعه؛ لما يجد في نوقه من صـفات الجلد والصـبر والقوة والسـرعة، ولما في الصـحارى من سـعة وامتداد، يتنفس من خلالها حريته، وما فيها صلابة وحر وتصبر يُسْقِطُها على نفسه.

3- يوازن بين زمنين: الزمن الماضـي زمن القوة والسـلب والنهب وقطع الطرق وخوف الجميع منه، والزمن الحاضر زمن الضعف والانهزام والاستسلام السجن والقيد في قدميه.

4- ومن وسـائل مواجهته للواقع - وما يعانيه من سـجن ويأس من خروجه منه - طيف المحبوبة الذي يطرقه ليلًا، وعادة ما يطرقه خيال المحبوبة ورجلاه مشـدودة بقيد، وكأن هذه الطروق تسـلية له، يواجه من خلالها هذ السجن، وألوان العذاب التي يلاقيها.

5- في حديثه عن يأسه واستسلامه، يستخدم عدة أساليب أبرزها أسلوبا التجريد والالتفات؛ إذ يجرد من نفسه ذاتًا أخرى، يحاول من خلالها مواجهة ذاته، بحقيقة استحالة خروجه من السجن، وإقناعها بالاستسلام للقدر.

6- يشـكو لصـوص قبيلة عكل من خذلان قبيلتهم لهم وعدم نجدتهم وافتدائهم من الأسـر. يحاولون استثارة حميتها واستعطافها دون جدوى، موضحين المفارقة بين موقفهم منها وموقفها منهم، كيف كانوا يدافعون عنها؟ وكيف سـيكون موقفهم لو تعرضـت لأذى؟ في حين خذلتهم هي وتركتهم في السجن دون افتداء، أو الدفاع عنهم، ليعلن بعضهم القطيعة معها ومع أبنائها.

7- المفارقة اللفظية؛ من خلال تأدية اللفظ مدلولين متناقضين، في الغالب يعبر - من خلالها الشاعر - عن شوقه لأحبابه، وتتبع ظعائنهم ونيرانهم، تتخللها بعض الاستدعاءات كاستدعاء مظلومية يوسف عليه السـلام، ومقارنتها بمظلوميته. ويسـتخدم كثيرًا من الألفاظ والمواضـع التي تعبر عما يعانيه الشاعر العكلي، في مواجهته لحصار الواقع له.

8- المفارقة الدرامية ومفارقة الحدث، ويعبر الشـاعر من خلال هاتين المفارقتين عن الظلم الذي تعرض له هؤلاء الشعراء من واقعهم: من طرد وفقر وتشرد وسجن. دون أن يعرفوا سببًا لذلك، وما يتعرضون له في هذه السجون من ألوان العذاب الجسدي والنفسي من حراس السجن.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 155/1.

المصادر والمراجع

1- تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضـــى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ومراجعة: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت.
2- دراســات تحليلية في الشــعر العربي القديم، ثناء أنس الوجود، دار قباء للطباعة والنشــر، القاهرة- مصر، 1420هـ - 2000م.
3- ديوان اللصــوص في العصــرين الجاهلي والإســلامي، صــنعه: محمد نبيل طريفي، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1، 2004م - 1425هـ.
4- شعراء أمويون دراسة وتحقيق: نوري حمود القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل – العراق.
5- صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
6- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1994م.
7- الصــورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصــفور، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3.
8- عن بناء القصــيدة العربية الحديثة علي عشــري زايد، مكتبة ابن ســيناء، القاهرة – مصــر، ط4 1423هـ 2002م.
9- قراءة ثانية في شـعر امرئ القيس، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشـرون – الشـركة المصـرية العالمية للنشر لونجمان، 1986م.
10- القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج2، عدد2، فبراير – مارس، 1982م.
11- قضايا المصطلح الأدبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج7، ع3، 4، إبريل- سبتمبر 1987.
12- لسان العرب، ابن منظور، صححه: محمد عبد الوهاب – محمد العبيدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان، 1999م
13- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط 2، 1995.
14- مفارقات الهامش – قراءة في نونية قريط بن أنيف، المجلة العربية للعلوم الإنســانية – الكويت، يوسف عليمات، مج 34، عدد 135، 2016م.
15- المفارقة القرآنية - دراســة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي المعاصــر، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ 1994م 71.
16- المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، ازدهار عبد الرحيم الخلايلة، ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن، 2009.
17- المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد – الأردن 2017م
18- المفارقة وصــفاتها، ســي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ضــمن كتاب موســوعة المصــطلح النقدي، المؤســســة العربية للدراســات والنشــر بيروت - لبنان، دار عمار، عمَّان- الأردن، ط1، 1993م.
19- مناورات الشعرية، محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1، 1406هـ 1996م.